

الفصل الخامس:

علاقات الأثرية والأقلية في سياق حرية التعبير

مقدمة

يتأسس النظام الحاكم ونمط الحياة الديمقراطي على مبادئ الحرية والمساواة ما بين البشر. بسبب منح قرار الأثرية الأولية للأفراد المنتمين لها، من الأفضل أن نستخدمه فقط في الأوقات التي لا تستطيع جميع الأطراف تحقيق إرادتها بشكل متساو.

من منطلق الإعراف بأن قرار الأثرية يضر بحقوق الأقلية، تقوم المؤسسات والمنظمات الديمقراطية بإتخاذ وسائل الحذر، والتي تضمن عدم إسائة قرار الأثرية بالحقوق الأساسية للأفراد. في كثير من الأحيان، يتم ترسيخ حماية هذه الحقوق الأساسية في الدستور أو القانون الأساسي، كما أنه يتم تقييد الحالات التي يُستخدم بها قرار الأثرية.

على الرغم من الموقف الديمقراطي المبدئي المؤيد للحق المتساوي لحرية التعبير لجميع الأفراد والمجموعات، وعلى الرغم من وسائل الحذر التي يتم إتخاذها ضد مس الأثرية بالحقوق الأساسية، فإنه في الحقيقة، من الصعب على الأقلية التعبير عن نفسها في الحيز العام، بينما ذلك أسهل بالنسبة للأغلبية. أسباب صعوبة الأقلية في التعبير عن نفسها في الحيز العام بشكل حر هي مختلفة ومتنوعة. لبعضها علاقة أساسية بالأثرية (ضغط اجتماعي، المبنى المؤسسي والتنظيمي وغيرها)، بينما هناك أسباب أخرى لها علاقة بالأقلية وبطريقة سلوكها مع الوضع الذي تواجهه. (رقابة شخصية، نقص الشجاعة المدنية).

ضمن سلسلة الفعاليات في هذا الفصل، سنعرض صعوبات التعبير الحر المتساوي الخاص بالأقلية، كما أننا سنشير الى أساليب محتملة للتعامل معها. وايضا سنشير الى انواع مختلفة من الأثرية والأقلية وعلى صعوبة كل منهم للتعبير بشكل متساوي في الحيز العام.

1. **المنازية الغوية** – في بعض الأحيان، يتم تمييز الأثرية عن الأقلية عن طريق اللغة التي يتحدثها. في اسرائيل، تنتهي الى مجموعات الأقلية اللغوية مجموعات مثل: العرب، والمهاجرين الجدد وغيرها. في ظل نقص موائمة لغوية متساوية لكل اللغات، هناك أولوية واضحة لحرية تعبير الأثرية.

2. **أغلبية وأقلية ثقافية، ودينية، وقومية، وجندرية** – في بعض الأوقات، يتم تمييز الأثرية عن الأقلية عن طريق ديانتها/ ثقافتها/ هويته، وجنسه. تمنح قرارات الأغلبية في المؤسسات وفي أجهزة صنع القرار أولوية للتعبير الثقافية الخاصة بالأثرية، وهكذا يتم طمس قدرة التعبير الثقافي/ الديني/ الجندري والقومي الخاص بالأقلية.

3. **الإمكانية المتساوية للتعبير عن المواقف الثقافية السياسية** – في العادة، تجد الأقلية السياسية صعوبة في التعبير عن مواقفها، في بعض الأحيان، بسبب نص قوانين تمنع الأقلية من التعبير الحر على يد الأثرية، وفي أحيانا أخرى، بسبب بناء عمليات إتخاذ قرارات التي تخلق إقصاء لأصوات الأقلية، أو بسبب ضغوطات ظاهرة أو سرية ضدها.

من الممكن طبعاً التوسع في هذا السياق والتعلم عن أنواع اضافية من الأثرية والأقلية والتي تؤدي الى عدم المساواة في التعبير في الحيز العام، لكننا سنكتفي في هذا البرنامج بالأمثلة التي ذكرناها.

فعالية رقم 1: المنالفة اللغوية

أهداف الفعالية:

- أ. التعلّم عن الإيجابيات الكبيرة الخاصة بالأكثرفة اللغوية للتعبير بشكل حر.
- ب. التعلّم عن أساليب التعامل مع الحاجز اللغوي بهدف تقليص فجوات التعبير الحر.

مواد مساعدة وأدوات:

- ✎ أوراق وأدوات كتابة.

سيرورة العمل:

1. إعلام الطلاب أنه سيتم اليوم في الصف عقد نقاش باللغة الإنجليزية، وأنه من الممكن الكتابة باللغة الإنجليزية فقط. سيكون موضوع النقاش: "إمكانية تقليص امتحانات البجروت الى أربعة مواضيع".
2. في البداية، على جميع الطلاب أن يكتبوا باللغة الإنجليزية تفسيراتهم الداعمة للعرض على ورقة بخط مقروء، وبعد ذلك، عليهم تعليق ورقة التفسيرات على لوح الغرفة الدراسية وأن يقفوا بجانبه.
3. على كل الطلاب أن يقرأوا كل بدوره ماذا كتبوا، كما عليهم أن يردوا على أسئلة أصدقاءهم التي سيتم طرحها والتي تتعلق بما كتبه باللغة الإنجليزية.
4. عقد نقاش عام، على الطلاب والطالبات التطرق الى النقاط التالية:
 - كيف تصرفوا خلال المهمة؟ وكيف كان تصرف أصدقاءهم؟
 - ماذا كان شعورهم، أفكارهم ومدى اشتراكهم، كيف كان تأثير اشتراك الباقيين أثناء تنفيذ المهمة عليهم؟
 - هل قاموا بالتعبير بشكل حر أم لا؟ هل كانت هناك مساواة بالغرفة للتعبير؟ كيف نعم وكيف لا؟
 - مقارنة الوضع الحالي في الغرفة بالتجارب التي مرّوا بها بالحياة، بغض النظر إن كانوا منتمين الى الاقلية اللغوية أم الى الأكثرفة اللغوية.

5. على الطلاب أن يقرروا بأي من الأساليب التالية سيتصرفون في حالة وجود فجوات في التعبير التي مصدرها الإختلاف اللغوي بين الأكثرية والأقلية.

- يتكلم من يعرف الإنجليزية فقط.
- كل مشارك يتحدث بلغته.
- كل مشارك يتحدث بلغته، مع ترجمة فورية لمتحدثي لغة الأقلية.
- كل مشارك يتحدث بلغته، مع ترجمة فورية للفتين.

6. على جميع الطلاب أن يقرروا كيف يتوجب التصرف في نقاشات الكنيست العامة:

- يتحدث من يتكلم العبرية فقط.
- يتحدث كل ممثل بلغته.
- يتحدث كل مشارك بلغته مع ترجمة فورية لمتحدثي لغة الأقلية.
- توفير ترجمة فورية للفتين.

7. على الطلاب أن يفحصوا موقفهم بما يتعلّق بالتعبير اللغوي الحر الخاص بالمشاركين والمشاركات في الغرفة، كما عليهم مقارنتها مع موقفهم الذي يتعلّق بالتعبير الحر في الكنيست.

8. لتلخيص النقاش، على الطلاب أن يعرضوا مواقفهم بموضوع التعبير الحر الخاص بالأقلية والأكثرية اللغوية، كما عليهم أن يعرضوا أساليب التعامل مع عدم المساواة بين أعضاء المجموعتين.

فعالية رقم 2: الأكثرية والأقلية في الحيز العام أسماء الشوارع – الإقصاء الثقافي والقومي والجندريالي

أهداف الفعالية:

● التعلّم عن إقصاء المجموعات الثقافية، والدينية الوطنية والجندرية للسكان، وعن إخفاء المعلومات وعن تأثيرها على المجتمع.

المواد المساعدة والأدوات:

- ✦ خارطة للمدينة التي تُعقد بها الفعالية - بناء على عدد المجموعات.
- ✦ أدوات كتابة وأوراق لجميع المشاركين، لوحات بريستول وورق لاصق.

سيرورة الفعالية:

1. يتم تقسيم الطلاب إلى مجموعات تتكون من 4-5 مشتركين ومشاركات. يجب توزيع الخرائط على الطلاب، يجب أن تحتوي الخارطة على أسماء الشوارع / الحارات التي يسكنون بها ولوحة بريستول وأدوات كتابية. على كل مجموعة أن تنفّذ المهام التالية:
 - التمعن بأسماء الشوارع/ الحارات المذكورة على الخارطة، يتوجب اختيار 10-15 إسم واستبدالهم بأسماء أخرى عليهم اختيارها.
 - على المجموعة ان تكتب على البريستولات ما هي الشوارع/ الحارات التي اختاروا تغيير أسماءها، وما هي الأسماء الجديدة التي أطلقوها على الشوارع/ الحارات. عليهم تعليق اللوحة الورقية على أحد جدران الغرفة الدراسية.
2. يُطلب من أعضاء جميع المجموعات أن يتمعنوا بلوحات بريستول، عليهم أن يكتبوا ملاحظاتهم التي تتعلق للإقتراحات التي تم اختيارها للأسماء البديلة.
3. عقد نقاش عام بما يتعلق بالنقاط التالية:
 - ماذا تعلمتم عن أسماء الشوارع/ الحارات المتواجده في مدنكم وعن العلاقة ما بين الأكثرية الثقافية، الدينية، القومية، الجندرية وبين الأقلية في مدنكم؟
 - ماذا تعلمتم عن التغييرات التي أجرتها مجموعتكم على أسماء الشوارع/ الحارات، وعن التغييرات التي أجرتها باقي المجموعات على علاقات الأكثرية والأقلية، الدينية، القومية، الجندرية في مدنكم؟
 - ماذا تعلمتم عن الفرصة المتساوية الخاصة بالمجموعات في مدنكم لتحقيق التعبير عن ثقافتهم؟ هل ساهم تغييركم للاسماء على ترسيخ قيمة للمساواة، وتمكين مجموعاتكم، أو تمكين قوة مجموعة الأكثرية؟ غير ذلك؟
 - هل لديكم أي أمثلة أخرى للمساواة أو لعدم المساواة في التعبير، الديني، القومي، الجندري؟

فعالية رقم 3:

الصعوبة في التعبير عن موقف الأقلية بشكل عام، وعن موقف الأقلية السياسية بشكل خاص.

أهداف الفعالية:

- أ. التعلم عن صعوبات التعبير عن موقف الأقلية بشكل عام، وعن موقف الأقلية بالمواضيع السياسية بشكل خاص.
- ب. التعلم عن منظومات قمع الأكثرية، وتعلم مواقف الأقلية.
- ت. التعلم عن الصعوبات التي تواجهها الأقلية للدفاع عن نفسها أمام الأكثرية.
- ث. التعلم عن الصعوبات التي يواجهها الأكثرية للدفاع عن الأقلية الشرعية.

مواد مساعدة وأدوات:

- 📌 لوحات بريدستول، أقلام تخطيط، أدوات كتابة.
- 📌 نصوص تحتوي على مصطلحات تحدد سلوكيات أو ظواهر من موضوع الإعلام والعلوم الاجتماعية التي تشرح العلاقات ما بين الأكثرية والأقلية بما يتعلق بحرية التعبير - مرفق.
- 📌 أجهزة حاسوب أو هواتف محمولة مرتبطة بالإنترنت.

سيرورة الفعالية:

1. يتم تقسيم الطلاب الى مجموعات تتكون كل واحدة منها من 5 مشتركين. يتم اعطاء كل مجموعة نص يحتوي على شرح سلوك معين تنتهجه الأكثرية مع الأقلية، وسلوك آخر تنتهجه الأقلية مع الأكثرية.
2. على كل مجموعة أن تتعلم المصطلح الذي تلقته، كما عليها أن تأتي بأمثلة من الواقع بحيث تعكس هذه الأمثلة المصطلح. على المجموعة أن تختار أسلوب لتعليمه لطلاب الصف.
3. أمام الجميع، على كل مجموعة أن تُعلم الظاهرة التي قرؤوا عنها بالطريقة التي اختارتها التي، كما عليها أن تُعلم التفسيرات لوجودها.
4. في نهاية مرحلة التعليم الخاصة بجميع الطلاب على أيدي المجموعات، يتوجب عقد نقاش بالنقاط التالية:
 - ما هي الأمور الأساسية التي تم تعليمها؟
 - ماذا تعلموا عن أنفسهم وعن المجموعات التي ينتمون إليها كأغلبية وأقلية؟
 - ماذا تعلموا عن أساليب قمع الأكثرية للأقلية؟
 - برأيكم، كيف من الممكن أن يُحوّلوا الخبرة والعلم الذي اكتسبوه الى نشاط وفعاليات؟

تأثير سلبي

الظاهرة التي تتمحور بتخوف الأشخاص من دفع ثمن اجتماعي وقضائي نتيجة لتعبير معين حتى لو كان التعبير شرعياً، تسمى بـ "التأثير السلبي". قد يؤدي هذا التخوف الى أن يقوم الأشخاص بتفعيل "الرقابة الشخصية" - أن يصمتوا أو أن يجمّلوا انتقادهم أو فكرتهم التي أرادوا التعبير عنها.

المثال الأول:

تخيّلوا الوضع النظري التالي: قبل جلسة المعلمين التحضيرية للعام الجديد، تحدثوا فيما بينهم - منسقة التعليم الإجتماعي في المدرسة، مدرّسة قديمة، وأستاذ التعليم الجسدي الجديد، سيكون هذا عامه الاول في التدرّس، تحدثوا بموضوع التقسيم غير العادل لميزانية المدرسة بين المواضيع المختلفة. في خلال الجلسة، قرّرت منسقة التعليم الإجتماعي أن ترفع ادعاءها الى مديرة المدرسة والطاقتم والذي يتعلّق بنقص تخصيص ميزانيات لصالح فعاليات اجتماعية خارج المدرسة. عند انتهاء المنسقة من الحديث، تفاجأت بتوبيخ المديره لها حين قالت: "إن لم يلائمك المبلغ المرصود، أنت مدعوّه للبحث عن مدرسة أخرى للعمل بها!". التفت مديرة المدرسة الى باقي المدرّسين وسألتهم: "هل هناك أية ادعاءات لأحد آخر تتعلّق بأسلوب إدارتي للمدرسة؟".

المثال الثاني:

تزايد في الآونة الأخيرة حول أماكن عمل ومؤسسات أكاديمية التي اتخذت اجراءات عقابية تجاه موظفين أو طلاب بسبب تعابير عبر الشبكة، وحول صفحات الفيسبوك التي تعمل لهدف الكشف عن الموظفين والتسبب بفصلهم.

ملاحظة: تذكر جمعية حقوق المواطن القاعده بأنه لا يوجد لصاحب العمل أية مسؤولية عن تعابير الموظفين في حياتهم الخاصة خارج إطار العمل، وممنوع عليه أن يتجسس عليهم أو أن يتدخّل بحياتهم خارج مكان العمل عن طريق العقوبات. بل أن قانون مساواة الفرص في العمل يمنع صاحب العمل أن يُميّز ضد الموظفين بسبب آرائهم، إلا إن كان الحديث عن آراء أو تعابير مسيئة بوظيفة الموظف. لذلك، عند ممارسة الضغوطات على صاحب العمل لفصل موظف او موظفة بسبب التعبير عن آراءهم/ن في الفيسبوك، عليه أن يوضح أن هذا المطلب مخالف للقانون، بل أنها تعرضه لدعوى بسبب التمييز. (من الغريب أن يقوم المتهم بالتبليغ بأنه يخرق القانون) كقاعدة، يحددون في الجمعية بأنه في حال وجود شك بأن التعبير قد يصل الى حد التحريض الممنوع على العنف او العنصرية، يتوجب تقديم شكوى في الشرطة، لا يتوجب العمل بشكل مستقل ضد من قام بالتعبير.

الإنصياح للسلطة- تجربة ستانلي ميلغرام

مع أن التجربة تتمركز بميول الأشخاص الى الإنصياح الى من بيده السلطة، لكن من الممكن أيضا التعلّم منه عن كيفية تحويل الأفراد الى أغلبية طاغية.

في فترة محاكمة أدولف آيخمان، في إسرائيل، بدأ ستانلي ميلغرام (1963) سلسلة أبحاثه الدراماتيكية بموضوع الإنصياح للسلطة. في هذه التجارب تم فحص إذا كان الشخص العادي يستطيع أن يسيء لإنسان آخر – ليصل لمستوى القتل، عندما يكون موجود تحت مصدر سلطوي مُوجّه.

طلب ميلغرام من مختصين وأخصاء نفسيين أن يُقدّروا الى أي مدى يستمر الأشخاص الذي يتم فحصهم في التجربة التي خُطت لها. قدّر الأخصاء النفسيين أنه من المحتمل أن يصل شخص واحد من بين ألف شخص الى مستوى صدمة كهربائية بدرجة 450V. لكن، نسبة من وصل الى درجة 450V كانت 65% من من تم فحصهم. حتى في الإنعكاس (إعادة التجربة في وقت آخر ومكان آخر) التي تم تنفيذه- لم تختلف نسبة الإنصياح ما بين النساء، والأطفال وأبناء الثقافات الأخرى.

من الممكن طبعا النظر لنتائج هذه التجارب كدرس في علم النفس الخاص بالقسوة واستنتاج أن من تم فحصهم من قبل ميلغرام كانوا شديدي الإختلال. مع أن البحث لا يدعم هذا الإحتمال. أن من تم فحصهم في "مجموعة الفحص" الذين لم يتلقوا ايدعم من قبل الباحث للإكمال التجربة، توقفوا في مرحلة مبكرة. بالإضافة الى ذلك، أفاد ميلغرام في تقريره بأن من تم فحصهم عانوا وتعذبُ أثناء تلقيهم الصدمات الكهربائية، جزء منهم مزوا بنوبات ضحك هستيرية، ارتجف جزء منهم، تهدوا، عضوا على شفاههم وأكلوا أظافر أصابعهم، وفي إحدى الحالات، واجه شخص من من تم فحصهم نوبة صرع أدت الى إنهاء التجربة.

سببت هذه التجارب الكثير من الردود، انتقد بعضها قلة الأخلاق والضرر النفسي بمن تم فحصهم (مفهوم المشتركين بأنهم يستطيعون المس بإنسان آخر).

من المهم أن نلاحظ أن اليوم لا يتم إجراء البحوث في علم النفس بهذه الطريقة، كما أن هناك قانون أخلاقي واضح لمنع الضرر بالمشاركين. ومع ذلك، على الرغم من الصعوبات والمشاكل التي يعاني منها البحث، هناك أهمية ومساهمه كبيره لفهم آليات العمل الاجتماعي.

تفصيل عملية التجربة

تبدأ التجربة عند وصولك إلى المختبر في الجامعة، حيث تلتقي شخصين. واحد منهم هو من يقوم بالتجربة، وهو شاب يرتدي معطف المختبر الرمادي ويحمل معه لوح الكتابة، والآخر، السيد والس، تم التعريف عنه بأنه محاسب يعاني من القليل في زيادة الوزن، متوسط المظهر. بعد قرعة قصيرة يقرّر من ينفذ التجربة أنك ستلعب دور الأستاذ، وسيكون السيد والس الطالب.

تم عرض التجربة على من تم فحصهم بأنه جزء من دراسة تبحث آثار العقوبات على التعلّم. الآن، قيل لك بأن دورك هو فحص ذاكرة السيد والس وإعطاءه صدمات كهربائية بدرجة متصاعدة عندما يخطئ.

سيرافك القائم على التجربة الى الغرفة مع السيد والس، على السيد والس الجلوس على الكرسي، تُرفع أكاماه ويوصل بذراعية أحزمه مع أقطاب كهربائية. سأضع لاصق خاص على الأقطاب يقول القائم على التجربة بهدف تجنب الحروق. يقول السيد والس للقائم على التجربة بأن لديه مشاكل في القلب.

يقول القائم على التجربة: "ستعرض لصدمة كهربائية، لكنني أعذك أنها لن تسبب أي تلف دائم للأنسجة." يمكنك أن تشعر بصدمة خفيفة/ معتدلة (إذا أردت).

بعد ذلك، سيقوم القائم على التجربة بمرافقتك إلى غرفة مجاورة. عليك أن تجلس أمام الآلة التي تنتج الصدمات الكهربائية. يحتوي الجهاز على 30 زر لقوة الصدمة ابتداء من 15V وحتى 450V (معلم ب-XXX) بحيث أن الدرجات بين مستويات الصدمات المختلفة ثابتة على 15V.

سيكون دورك في التجربة هو أن تقرأ للسيد والس مجموعة من الكلمات من خلال ميكروفون، ومن ثم اختبار ذاكرة السيد والس عن طريق سلسلة من الأسئلة الأمريكية. للسيد والس أربعة خيارات. في كل مرة يضغط بها على الجواب، سيُظهر لك مولد يشير/ يظهر لك إن كانت الإجابة صحيحة أم لا، إذا كان الجواب صحيحاً، عليك الإنتقال إلى السؤال التالي، وإن كان الجواب غير صحيح، عليك أن تعلن عن الإجابة الصحيحة وأن تصعق السيد والس بصدمة بناء على مرحلة التجربة.

في كل مره ستعطي فيها السيد والس صدمة كهربائية سينير ضوء أحمر في مولد الصدمات، ستسمع صوت نقرة وصوت أزيز الصدمة التي تمر الى غرفة السيد والس. بعد كل إجابة خاطئة، سيتم إعلامك بأن الصدمة القادمة ستكون أقوى من الحالية ب-15V. أنت لا تعلم الحقيقة بأن السيد والس متعاون. وفي واقع الأمر هو لا يتلقى الصدمات الكهربائية.

كلما تقدّمت التجربة، ستزيد قوة الصدمات التي تقوم بنقلها. سيقوم السيد والس ب-75، و90 وب-105V بإصدار أصوات الألم. سيداً السيد والس في مستوى ال120V بالصراخ ("أووو، إنه مؤلم حقاً"). إن استمرت في التجربة، سيقوم السيد والس بمستوى ال150V بالصراخ من شدة الألم ويقول: "أووو، يا أيها الباحث هذا يكفي، أخرجني من هنا، قلت لك أن لدي مشاكل في القلب، بدأ قلبي يزعجني، أخرجني من هنا، من فضلك. بدأ قلبي يؤلمني. أرفض الإستمرار، أطلق سراحي" وتستمر صرخات المعاناة والاحتجاجات. في مستوى ال-300V، يقول السيد والس بأنه غير مستعد للإستمرار، لا يمكنك احتجزي هنا، حرروني من هنا. في المستويات الأعلى من ال-330V، يهدأ السيد والس ولا يحرك ساكنا- من هذه اللحظة، من غير الممكن سماع السيد والس.

عندما يتوجه من يخضع للإختبار للباحث بالسؤال عن إمكانية التوقف، أو يطلب التوقف أو يرفض الإستمرار، يتوجب على الباحث أن يجيب بالأجوبة التالية وفقاً للترتيب التالي:

في المرة الأولى: "استمر من فضلك"

في المرة الثانية: "تطلب التجربة أن تستمر"

في المرة الثالثة: "بشكل مطلق، من المهم أن تستمر"

في المرة الرابعة: "لا يوجد لك بديل آخر، أنت مجبر على الإستمرار".

نظرية "من يقف جانبا"

تشرح نظرية "من يقف جانبا" الظاهرة التي تتمحور أن وجود الآخرين يمنع أو يعيق العمل المؤيد للمجتمع. هذا هو مصطلح من علم النفس الاجتماعي الذي يتطرق الى الظاهرة التي تعتمد على أن الفرد يرى عبئ المسؤولية بأنه أمر لا يعنيه، كلما كبرت المجموعة السكانية التي يتواجد بها. من الممكن لمس هذه الظاهرة بشكل واضح عندما يكون شخص ما بالضائقة، نلاحظ بأن الناس في البيئة المحيطة له لا يقدمون على مساعدته، يعود وذلك لأنهم يعتقدون بأن شخص آخر سيقوم بتقديم المساعدة المطلوبة له. يتضح أنه في بعض الحالات، عند وجود شخص واحد في البيئة المحيطة بالشخص الذي يشعر بالضائقة، هناك احتمال أكبر بأن يحصل على المساعدة، بعكس في حال وجود بين الكثير من الناس¹.

قصة حادثة: الطبيعة الإنسانية هو الوقوف جانبا²

لماذا لم يقفز أحداً لإنقاذ بطلة الإبحار الشراعي ياسمين فينغولد؟ تدعى أبحاث علم النفس بأنه في حال تزايد عدد المشاهدين لحدث دراماتيكي، الإحتمال بأن يقوم أحداً بمساعدة المصاب يتقلص.

شري شبيط | mako | تم النشر 05/05/09 15:28

أنقلبت بطلة إسرائيل في الإبحار الشراعي في المياه الملوثة لنهر اليركون. صارعت من أجل الحياة ما يقارب العشر دقائق تحت الماء، كانت ساقها مقيدة في القارب، حتى مرور آفي طوبين على جسر اليركون ممارساً رياضة الركض الروتينية. رأى طوبين أناساً متجمعين وخائفين، كما أنه رأى قارباً مقلوباً، أدرك أن هناك من هو على وشك الغرق، قفز في نهر اليركون وبدأ في السباحة. سحب فينغولد مع قاربها الى الضفة، حيث انتظره فريق الانقاذ.

أبرز غرق ياسمين فينغولد في اليركون أمس تساؤلات نفسية عميقة. لماذا لم يقفز الأشخاص الذين رأوا انقلاب القارب الى النهر لمساعدة الغريقة؟ لماذا بقيت تحت الماء لعدة دقائق من دون أن تتنفس، من دون أن يحاول أي شخص من الحاضرين أن يساعدها؟

إيريس ريلوف، أخصائية نفسية كينيكية، في محاولة لإجابة عن التساؤلات: "تدعى أبحاث كثيرة في علم النفس أنه كلما تزايد عدد شهود العيان لحدث دراماتيكي معين، مثل أزمة قلبية، تتقلص الإحتمالات بأن يقوم شخصاً ما بتقديم المساعدة". توصل لاطنهو ودارلي إلى هذا الاستنتاج عام (1968)، هم باحثين أمريكيين قاموا بفحص الاستجابات الانفعالية الإنسانية في المواقف العصبية بشكل عميق. من الجدير ذكره أن هذا النوع من الأبحاث قد ظهر في سنوات الستينات والسبعينات، عندما كانت الولايات المتحدة تعاني من الجريمة، الأمر الذي أدى الى إثارة الرأي العام والنقد الشخصي.

انطلق لاطنهو ودارلي من الإدعاء بأن كمية كبيرة من الأشخاص من الممكن أن تكون على دراية بأمر سيء يحصل بجانبهم من دون أن يتخذوا أية خطوة بالموضوع. على سبيل المثال، في عام 1960، تم اغتصاب وقتل سيدة بإسم كتي جنوز في الولايات المتحدة الأمريكية، كشف التحقيق أن 38 شخص رأوا أو سمعوا المرأة تستغيث، لكنهم لم يستجيبوا لإستغاثاتها. تقول ريلوف: " على الرغم من نشر بحث الذي يعتبر هذا الاستنتاج كان مبالغاً فيه، وأنه لم يكن هذا العدد

¹. مصدر: https://he.wikipedia.org/wiki/מפקט_הצופה_מהצד أو في اللغة العربية

<http://www.ruoa.com/2015/09/bystander-effect-why-nobody-help.html#axzz40mPp91q>

². مصدر: http://www.mako.co.il/spirituality-popular_culture/Article-46c40dcb9801121006.htm

من الناس في هذا الحدث، مع ذلك، بالتأكيد هناك ظاهرة عالمية كهذه، وهي قيد البحث النفسي الإجتماعي، كما أنها تتساءل عن سبب عدم تعاون الأشخاص بهذه الحالات".

قام لاطنهو دارلي بتنفيذ العديد من التجارب الإجتماعية: كانت إحداها بإنتحال شخص لشخصية رجل مريض بالصرع، بحيث أنه واجه نوبة صرع في مكان عام. لم يقدم له أحد يد العون. تجربة إضافية كانت بإيقاف أشخاص في دور لإنتظار مقابلة في مكان عام. عند خروج الدخان من باب الغرفة المغلقة، ارتبك الأشخاص ولم يفعلوا أي أمر.

"اختار الباحثون مصطلح "من يقف جانباً"، وحددوه "تأثير ثابت"، تشرح ريلوف. "كما أسلفنا، كلما زاد عدد شهود العيان لحدث ما، تضائل احتمال تدخلهم لمصلحة الضحية. أسباب ذلك: أولاً، عندما نكون في مجموعة، نحن لا نكون متأكدين إن كان علينا أن نفعل شيء ما. هل باستطاعتي حقاً أن أساعد الشخص الذي يقف أمامي؟ نحن نعتقد أن هناك شخص آخر سيقوم بالتدخل بدلا عنا، والأشخاص المحيطين بنا يتصرفون من نفس المنطلق. نحن أيضا نميل للإفتراض بأن هناك شخص آخر سيقوم بتقديم المساعدة بشكل أفضل مما نستطيع، شرطى أو طبيب سيسيطر على زمام الأمور مثلاً. بل أكثر من ذلك، نحن بحاجة الى التعزيز لنفهم إن كنا قد حللنا الوضع بشكل صحيح. بشكل مبدئي، يخشى الناس من إحراج أنفسهم في العلن لإن كانوا قد حللوا الوضع بشكل غير صحيح. في الولايات المتحدة مثلاً، كانت هناك قضية صادمة منذ عقد من الزمان تمحورت بقتل طفل عمره سنتان على أيدي أطفال أكبر منه سناً. يفترض شهود العيان أنه كان مجرد لعبة أو شجار عائلي، ولم يعتقدوا أنه من المقبول أن يتدخلوا.

وماذا تعتقدون كانت الأسباب لعدم التدخل في حالة ياسمين فينغولد، حتى قيام آفي طوبين بمساعدتها؟

"في هذه الحالة بالذات، أعتقد توجب اتخاذ الحذر أثناء اطلاق الحكم. خشى الناس بشكل طبيعي على سلامتهم الشخصية. من المعروف أن مياه البركون ملوثة وخطيرة. بالإضافة إلى ذلك، أنا أفكر في نفسي. إن كنت شاهدة على مثل هذا الحدث، من الممكن أن أشعر بأنني لا أملك ما يكفى من القوة البدنية التي تمكنني من سحب القارب المربوط بالمرأة من المياه. الأشخاص الذين شهدوا الحادث ولم يكن لهم رد فعل ليسوا بأشخاص سيئين، بل هم أشخاص مرتبكين. الشخص الذي أنقذ الغريقة بالتأكيد يملك ثقة عالية بالنفس والقدرة البدنية، من الممكن افتراضه أنه في حالة بدنية جيدة وهو يملك الثقة في جسده، كما من الممكن افتراضه أنه فكّر بالأمر بشكل سريع، وأمن بأن له القدرة على فعل ذلك".

إذا كيف يتوجب التصرف في حال حصول حدث كذلك في المرة المقبلة؟

"على الرغم من هذه الأبحاث، يمكننا أن نرى في الإحصائيات أن الناس في نهاية المطاف تتدخل لمصلحة الضحية. ننصح من هو في ضائقة ويمكنه التفاعل مع محيطه، أن يطلب المساعدة من شخص معين. لا أن يصرخ بالطلب أن "يستدعوا الشرطة"، بل أن يتوجّه لشخص معين: "أنت، مع القميص الأحمر، استدعى الشرطة". يكسر هذا التوجّه تأثير من يقف جانباً، ويزيد من احتمال المساعدة الفورية

دوامة الصمت

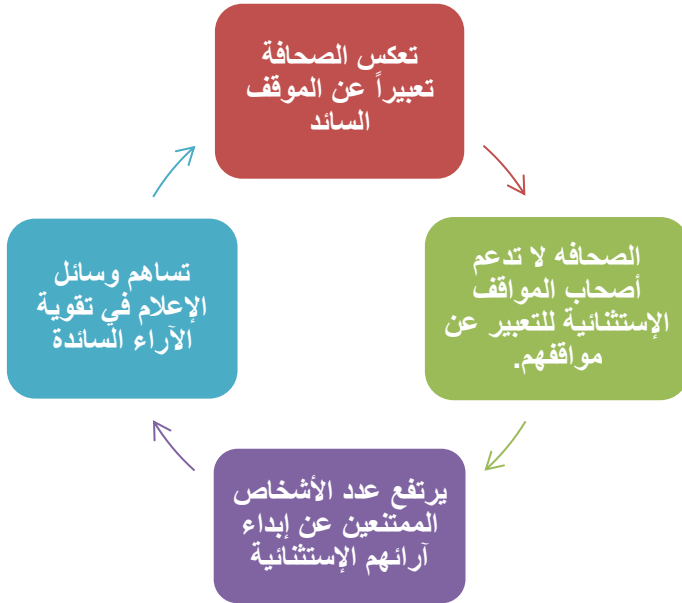
"دوامة الصمت" هي نظرية التي تتعامل مع عمليات تشكيل الرأي العام والتي وضعت في سنوات ال-70. قامت أخصائية علم الاجتماع الألمانية إليزابيث نواله-نويمان بوضع هذه النظرية. الحجة الرئيسية هي أن الكثير من وسائل الإعلام ليست قادرة على بناء الواقع الملموس فقط، لكنها تستطيع أن تخلق واقعا جديدا أيضاً.

الخلفية لتشكيل المفهوم: حلّت نويمان التغطية الإعلامية للانتخابات في ألمانيا الغربية في سنوات ال-60 وال-70. وادعت أن هناك مساهمة لوسائل الإعلام في خلق مناخ سياسي. في الانتخابات الألمانية، خلقت وسائل الإعلام انطباعاتاً موجهاً يتمحور بالفوز الأبدى للييسار، بناء على الانتخابات نفسها. أظهرت الاستطلاعات أن النتائج متقاربة ما بين اليمين واليسار، وهكذا تم وصف صورة مختلفة للوضع. نتيجة لذلك، تراجع العديد من أنصار اليمين عن دعمهم، وكان هناك من اصطف مع اليسار وفضلوا التصويت له. لم تنقل الصحافة الواقع، وكانت النتيجة نبوءة تحققت ذاتها. أصبح الواقع غير الحقيقي الذي صنعت وسائل الإعلام حقيقة واقعية. وفاز اليسار في نهاية المطاف. تصف نويمان الاستغلال الذي قامت به وسائل الإعلام، بحيث أنها تقوي الإدعاء بأن وسائل الإعلام يسارية. أخطأت وسائل الإعلام في الحقيقة عندما شوّهت الحقيقة، بل أنها تمكنت من خلق جو عام حقق ذاته وأصبح حقيقة واقعية.

بناء على ادعاء الباحثة نواله-نويمان، ليس من المفروض أن نتحدث عن التأثيرات الحالية، القوية أو الضعيفة الخاصة بالوسائل الإعلامية على الفرد، بل علينا أن نتحدث عن التأثيرات طويلة الأمد.

لا تقف وسائل الإعلام لوحدها، هي تعتمد على النظام الحاكم وتكون في بعض الأحيان بمثابة مبعوثين من قبله. لذلك، الرسائل التي يقوم الإعلام بإرسالها للجمهور هي الرسائل التي ستجعل الجمهور داعماً للرأي السائد. في كثير من الأحيان، تجعل هذه الظاهره الأشخاص الذين لا يدعمون رأي الأغلبية، الذين يتمسكون بأراء متطرفة مختلفة، لا يعبرون عن آراءهم.

يُطلق على هذه الظاهرة إسم: دوامة الصمت،
بحيث تحدث الدائره التاليه:



الإدعاءات الأساسية للنظرية:

- يشعر الناس بالرعب بسبب حالة الوحدة الفكرية، كما أنهم يسعون للحصول على دعم لآرائهم. يميل الناس إلى عدم التعبير عن آرائهم في بيئة معادية.
- توجد ميول لمواثمة الآراء المسموعة مع ما هو مقبول ومتفق عليه لدى الناس.
- الكثير من وسائل الإعلام هي مصدر أساسي لتلقي المعلومات حول "الجو العام"، يتعلم منها البشر ما هي الآراء المقبولة وما هي الآراء الإستثنائية بموضوع ما (الإجماع).
- الأشخاص المتمسكون بالآراء غير المقبولة أو الخارجة عن الإجماع الوطني يختارون واحد من الإحتمالين التاليين:
 - أ. يوائمون آراءهم مع آراء الأكثرية.

ب. يمتنعون عن التعبير عن آرائهم المتناقضة مع آراء الأكثرية، ينبع هذا الميول من التخوف من الإنتماء الى مجموعة الأقلية، ومن الإرادة للإنتماء الى الأكثرية.

هذه النظرية، ترتبط عادة بالمجال السياسي، ولكن، في واقع الأمر هي تمتلك تعبيراً في مجالات إضافية أيضاً مثل التسويق. على سبيل المثال: "الجميع يشرب كوكا كولا"، "يديعوت أحرونوت - صحيفة الدولة". هذه الظاهرة واضحة أيضاً بين المراهقين والأطفال، هذا نوع من الضغط الإجتماعي، والرغبة في الانتماء للجميع وليس الحياد عن المعايير الاجتماعية المقبولة.

أسس نظرية "دوامة الصمت"

1. تبني الصحافة جوا للرأي يعكس الواقع.
2. يختبر الفرد أرض الواقع وُثغَل حاسة تسمى ب "شبه الإحصائي" بهدف دراسة ما هو جو الرأي العام الاجتماعي، ما هو رأى الأكثرية وعلى ماذا الإجماع. وهو يحدث إما من خلال وسائل إعلام الجماهيرية، أو من خلال التواصل الشخصي. من الممكن أن يعزز محيط العلاقات الشخصية وجهة نظري والتي تتبلور بكوني من الأقلية، وبالتالي لن أعبر عن رأيي. في هذه الحالة، عزز التواصل بين الأفراد تأثير وسائل الإعلام المنتشرة والجماهيرية. من ناحية أخرى، يمكن لمعاري أن يعززوا رأيي وأن يعبروا عنه، على الرغم من أنها متناقضة.
3. إن شعرت بأن رأيي يحظى بدعم الأكثرية، سأشعر بالأمان بالتعبير عنه. وإن كان رأيي مناقضاً للأغلبية، سألتصرف بناء على الطريقتين اللتين كتبتهما في الأعلى.
4. بشكل تدريجي، يتم تشكيل دوامة الصمت، بحيث تتركب من أشخاص يتخوفون من إسماع آرائهم التي لا تحظى بشعبية، ومع الوقت تتوسع الدوامة أكثر وأكثر، وينضم اليها المزيد من دوائر الصمت.
5. هناك نواة صلبة لا تزال تُسمع آراء لا تحظى بالشعبية، لكنها أقلية صغيرة جداً.
6. مصطلح مركزي ومهم في نظرية "تأثير عربة القطار/ عربة الفائز" - هو ان الناس تتصرف بشكل عقلاني، ويدعمون مرشح أو فكرة لديها أفاق أفضل. لا يحدث هذا لأنهم يفضلونه فعلاً، لكن لأنهم يفضلون الانتماء إلى الأكثرية، المتماهي مع الجانب الفائز والقوي. أنا أدرك الحقيقة بأنني أفكر بشكل مغاير، ولكني سأنضم لأنني أود أن أكون في

الجانب المنتصر. لا تخص نويمان لنظرية "دوامة الصمت" العقلانية، بل الى ضعف خُلق بسبب الخوف من العزلة الاجتماعية والتعبير عن الرأي.

7. التركيز هو أن تكون هناك علاقة متبادلة وتأثيرات متبادلة ما بين وسائل الإعلام وبين جو الرأي العام. بحيث تتأثر وسائل الإعلام من الجو العام الذي صنعه، وبالتالي، يتزايد التأثير ويتصاعد. التغطية المبالغ بها لرأي الأقلية يجعلها حيوية بشكل متزايد ويكتم صوت من يتخالف معه، مما يؤدي الى خلق المزيد من دوائر الصمت. في العادة، هناك أقلية صوتها عالي، وهو ما يتم إسماع صوته في وسائل الإعلام، وبمجرد أن تقوم وسائل الإعلام بإسماع صوته مراراً وتكراراً مما يؤدي الى إظهاره كأغلبية، مما يسبب انضمام المزيد من الناس الى رأي الأكثرية، مما يخلق أغلبية زائفة.

هل من الممكن كسر دوامة الصمت؟

1. أشخاص ذوو شخصيات قوية، لا يخافون من إبداء رأيهم المضاد.
2. أشخاص أصحاب مصالح، هناك ما يربحه هؤلاء الأشخاص نتيجة لتصرف غير امثالي.
3. أشخاص يخاطرون أقل، أو لا يشعرون أنهم يخاطروا، أثناء تصرفهم غير الأمثالي. وهذا منوط بالفروقات الثقافية، أي ان هنالك ثقافة يومية أمثالية وهنالك ثقافة يومية أقل أمثالية.

